

أبعاد الحكمة في التعليم المعاصر

أ.م. غمدان أحمد رزق شريح

جامعة باشن العالمية

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان أبعاد الحكمة في التعليم المعاصر، وبناء إطار نظري يوضح مفهومها وأسسها التربوية، مع تقديم استراتيجيات تسهم في تطوير المنظومة التعليمية. وينطلق من أن الحكمة تمثل ركيزة أساسية في بناء شخصية المتعلم، إذ تجمع بين المعرفة الصحيحة، وحسن الفهم، وصواب الحكم، والعمل النافع، بما يحقق التوازن بين الجوانب العلمية والأخلاقية والمهارية. واعتمد على المنهج الوصفي التحليلي، من خلال استقراء النصوص الشرعية، والدراسات التربوية، والأدبيات المعاصرة المتعلقة بالحكمة والتعليم، وتحليلها لاستنباط أهم الأبعاد التي ينبغي أن تقوم عليها العملية التعليمية. وقد تناول مفهوم الحكمة في القرآن الكريم والسنة النبوية والفكر التربوي، ثم عرض أبرز أبعادها المعرفية والأخلاقية والوجدانية والاجتماعية والقيادية، وبين أثرها في تنمية التفكير الناقد، واتخاذ القرار الرشيد، وتعزيز القيم، وإعداد المتعلم القادر على مواجهة تحديات العصر. كما قدم مجموعة من الاستراتيجيات التطبيقية لتفعيل الحكمة في التعليم، من أبرزها تطوير المناهج الدراسية، وإعداد المعلم الحكيم، وتوظيف الحوار، والتعلم التعاوني، والتقنيات الحديثة، والتقويم القائم على تنمية التفكير والقيم. وخلص إلى أن إدماج الحكمة في جميع عناصر العملية التعليمية يعد مدخلاً فاعلاً لتطوير المنظومة التربوية، والارتقاء بجودة التعليم، وبناء أجيال تمتلك المعرفة، والقيم، والقدرة على الإبداع والإسهام الإيجابي في تنمية المجتمع.

الكلمات المفتاحية: الحكمة، التعليم المعاصر، التربية الإسلامية، تطوير التعليم،

المنظومة التربوية.

Abstract:

This study aims to explore the dimensions of wisdom in contemporary education by developing a theoretical framework that clarifies its concept and educational foundations, while proposing practical strategies to enhance and develop the educational system. The study is based on the premise that wisdom constitutes a fundamental pillar in shaping learners' personalities, as it integrates sound knowledge, deep understanding, wise judgment, and beneficial action, thereby achieving a balance between cognitive, moral, and practical dimensions. The study adopts the descriptive-analytical method through examining Islamic sources, educational literature, and contemporary studies related to wisdom and education, followed by analyzing them to identify the essential dimensions that should underpin the educational process. It discusses the concept of wisdom in the Qur'an, the Prophetic Sunnah, and educational thought, and highlights its cognitive, ethical, emotional, social, and leadership dimensions. The study also demonstrates the role of wisdom in fostering critical thinking, sound decision-making, moral values, and preparing learners to face contemporary challenges effectively. Furthermore, the study proposes several practical strategies for integrating wisdom into education, including curriculum development, preparing wise teachers, promoting dialogue and collaborative learning, employing educational technologies wisely, and implementing assessment methods that foster both critical thinking and ethical values. The study concludes that integrating wisdom into all components of the educational process represents an effective approach to improving the quality of education and developing an educational system capable of preparing knowledgeable, ethical, creative, and socially responsible generations.

Keywords: 5 keywords

مقدمة:

يُعد التعليم الركيزة الأساسية التي تبنى عليها المجتمعات حضارتها، والأداة الأقوى لتشكيل وعي الإنسان وتوجيه سلوكه. ومع الطفرة التكنولوجية الهائلة والمعرفة التي يشهدها القرن الحادي والعشرون، واجهت المنظومات التعليمية تحدياً جديداً؛ فلم تعد الإشكالية تكمن في ندرة المعلومات أو صعوبة الوصول إليها، بل في كيفية غرلتها، واستيعابها، وتوظيفها لخدمة البشرية. من هذا المنطلق، برز مفهوم "الحكمة في التعليم" كضرورة ملحة لإعادة التوازن للعملية التربوية. إن الحكمة في السياق التعليمي تتجاوز المفهوم التقليدي لشحن الأذهان بالحقائق والنظريات، لتنتقل إلى آفاق أرحب تركز على تنمية التفكير النقدي، وغرس القيم الأخلاقية، ومراعاة الفروق الفردية بين المتعلمين. فالمعرفة المجردة من الحكمة قد تنتج عقولاً حادة لكنها تفتقر للوعي الإنساني والمسؤولية المجتمعية (Dewey, 1916؛ Freire, 1970).

المبحث الأول: تعريف "الحكمة" وتحتة مطلبان

المطلب الأول: تعريف الحكمة في اللغة

قال ابن فارس: الحاء والكاف والميم أصل واحد، وهو: المنع، وأول ذلك الحكم، وهو المنع من الظلم، وسميت حكمة الدابة؛ لأنها تمنعها. والحكمة هذا قياسها؛ لأنها تمنع من الجهل، والمحكم: المحرب المنسوب إلى الحكمة، قال طرفة:

ليت المحكم والموعوظ صوتكما ... تحت التراب إذا ما الباطل انكشف

أراد بالمحكم الشيخ المنسوب إلى الحكمة (ابن فارس، 1979، ج2، ص91). وقال ابن منظور: قيل: الحكيم: ذو الحكمة، والحكمة عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم (ابن منظور، 1994، ج15، ص30).

وقال الجوهري: الحكم: الحكمة من العلم. وصاحب الحكمة: المتقن للأمور. وقد حكم- بضم الكاف، أي: صار حكيماً، قال النمر بن تولب: وأبغض بغيضك بغضا رويدا ... إذا أنت حاولت أن تحكما قال الأصمعي: أي: إذا حاولت أن تكون حكيماً، والمحكم- بفتح الكاف- هو الشيخ المحرب، المنسوب إلى الحكمة (الجوهري، 1987، ج5، ص1901).

قال في (تاج العروس): والحكمة -بالكسر- العدل في القضاء كالحكم، والحكمة العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه، والعمل بمقتضاها، ولهذا انقسمت إلى علمية وعملية، ويقال: هي هيئة القوة العقلية العلمية. وقيل: الحكمة: إصابة الحق بالعلم والعمل (الزبيدي، د.ت.، ج8، ص353).

وفي (المصباح المنير): الحكمة وزان قصبة للدابة، سميت بذلك؛ لأنها تذللها لراكبها حتى تمنعها الجماع ونحوه. ومنه اشتقاق الحكمة؛ لأنها تمنع صاحبها من أخلاق الأردال (الفيومي، د.ت.، ج1، ص200).

وينظر أيضًا في دلالة الحكمة اللغوية: (الأصفهاني، د.ت.).

المطلب الثاني: الحكمة في الاصطلاح والشرع.

«الحكمة: علم يبحث فيه عن حقائق الأشياء على ما هي عليه في الوجود بقدر الطاقة البشرية، فهي علم نظري غير آلي، والحكمة أيضًا: هي هيئة القوة العقلية العلمية المتوسطة بين الغريزة التي هي إفراط هذه القوة، والبلادة التي هي تفريطها.

الحكمة: تنجيء على ثلاثة معانٍ: الأول: الإيجاد. والثاني: العلم. والثالث: الأفعال المثلثة، كالشمس والقمر وغيرهما، وقد فسر ابن عباس، رضي الله عنهما، الحكمة في القرآن، بتعلم الحلال والحرام، وقيل: الحكمة في اللغة: العلم مع العمل، وقيل: الحكمة يستفاد منها ما هو الحق في نفس الأمر بحسب طاقة الإنسان، وقيل: كل كلام وافق الحق فهو حكمة، وقيل: الحكمة هي الكلام المقول المصون عن الحشو. الحكمة الإلهية: علم يبحث فيه عن أحوال الموجودات الخارجية المجردة عن المادة التي لا بقدرتنا واختيارنا، وقيل: هي العلم بحقائق الأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه، ولذا انقسمت إلى العلمية والعملية. الحكمة المنطوق بها: هي علوم الشريعة والطريقة. الحكمة المسكوت عنها: هي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها علماء «قال المحقق التفتازاني: إن الحكمة هي الشرائع» (التهانوي، 1996، ج 1، ص 48).

وقوله تعالى: (يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ) في الحكمة قولان: قيل هي النبوة، وقيل القرآن، وكفى بالقرآن حكمة لأن الأمة صارت به علماء بعد جهل. وقوله تعالى (وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ) الحكمة هاهنا، الإنجيل. وأحكم الأمر، أتقنه. وقوله تعالى: (كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ). جاء في التفسير، أحكمت آياته بالأمر والنهي والحلال والحرام، ثم فصلت بالوعد والوعيد، والمعنى، والله أعلم، أن آياته أحكمت وفصلت بجميع ما يحتاج إليه من الدلالة على التوحيد وثبوت النبوة وإقامة الشرائع، والدليل على ذلك قوله تعالى: (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ). وقوله تعالى :

(وَتَفْصِيلُ كُلِّ شَيْءٍ (وقوله تعالى): فَإِذَا أَنْزَلْتَ سُورَةَ مُحْكَمَةً). قال الزجاج: معنى محكمة، غير منسوخة. وأحكامه التجارب، على المثل، وهو من ذلك. واستعمل ثعلب هذا في فرج المرأة فقال: المكثفة من النساء، المحكمة الفرج، وهذا طريف جدا. واحتكم الأمر واستحكم: وثق» (ابن سيده، 2000، ج3، ص50).

«اعلم أولاً أن الحكمة "فِعْلَةٌ" من الحكم، وهو في اللغة المنع. وأظهر معاني الحكمة لغة أنها العلم النافع الصحيح؛ لأنه يمنع الأقوال والأفعال أن يعتريها الخلل والنقص فكل نقص أو خلل منشأه في الحقيقة من الجهل الذي هو عدم العلم بما يقصد.

والحكمة في الاصطلاح: هي وضع الأمور في مواضعها وإيقاعها في مواقعها. وهي في الاصطلاح الخاص بأهل الأصول: المصلحة التي من أجلها صار الوصف علة للحكم. فالحكم -مثلاً- تحريم شرب الخمر، وعلة هذا الحكم هي الإسكار، والحكمة هي حفظ العقل. فمصلحة حفظ العقل هي التي من أجلها صار الإسكار علة لتحريم شرب الخمر وهي حكمة التشريع.

والحكم -مثلاً أيضاً- القطع، وعلة هذا الحكم هي السرقة، والحكمة هي حفظ المال. فمصلحة حفظ المال من السرقة هي التي من أجلها صارت السرقة علة لقطع يد السارق. وهكذا. وبعض أهل الأصول يقول: الحكمة عبارة عن دفع مفسدة أو» (الشنقيطي، د.ت.، ص65). وينظر: (ابن تيمية، د.ت.).

المبحث الثاني: الحكمة في القرآن والسنة:

أولاً: الحكمة في القرآن:

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالِيٍّ هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: 125].

«يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (ادْعُ) يا محمد من أرسلك إليه ربك بالدعاء إلى طاعته (إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ) يقول: إلى شريعة ربك التي شرعها لخلقك،

وهو الإسلام (بِالْحِكْمَةِ) يقول بوحى الله الذي يوحىه إليك وكتابه الذي ينزله عليك (وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ) يقول: وبالعبر الجميلة التي جعلها الله حجة عليهم في كتابه، وذكرهم بها في تنزيله، كالتى عدد عليهم في هذه السورة من حججه، وذكرهم فيها ما ذكرهم من آلائه (وَجَادِ لَهُمْ بِآلِي هِيَ أَحْسَنُ) يقول: وخاصمهم بالخصومة التي هي أحسن من غيرها أن تصفح عما نالوا به عرضك من الأذى، ولا تعصه في القيام بالواجب عليك من تبليغهم رسالة ربك (الطبري، 2001، ج 17، ص 321).

﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: 269].

«واختلف أهل التفسير في {الْحِكْمَةُ}، في هذا الموضع، على وجوه (الكفاية في التفسير بالمأثور والدرية، د.ت.، ج 5، ص 371):

أحدها: الفقه في القرآن، قاله ابن عباس (الطبري، 2001، ج 5، ص 576؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 531)، وقتادة (الطبري، 2001، ج 5، ص 576-577؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 533)، وأبي العالية (الطبري، 2001، ج 5، ص 576-577)، ومجاهد (الطبري، 2001، ج 5، ص 577؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 531)، وروي نحوه عن أبي الدرداء (ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 533)، ومقاتل (ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 533)، والحسين بن واقد (9).

والثاني: العلم بالدين، قاله ابن زيد (ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 533)، ومالك (الطبري، 2001، ج 5، ص 578).

قال الصابوني: " أي يعطي العلم النافع المؤدي إلى العمل الصالح من شاء من عباده " (الصابوني، 1997، ج 1، ص 154).

والثالث: النبوة. قاله السدي (الطبري، 2001، ج 5، ص 579؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج 2، ص 532؛ ابن عطية، 2001، ج 1، ص 364)، وأبو سنان (الطبري،

2001، ج5، ص579؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج2، ص532؛ ابن عطية، 2001، ج1، ص364).

والرابع: الخشية، قاله الربيع (الطبري، 2001، ج5، ص578)، وأبو العالية (ابن أبي حاتم، 1998، ج2، ص531؛ السيوطي، د.ت.، ج2، ص66)، وسعيد بن جبیر (السيوطي، د.ت.، ج2، ص67)، وروي نحوه عن مطر بن الوراق (ابن أبي حاتم، 1998، ج2، ص533).

والخامس: الإصابة في القول والفعل، قاله مجاهد (الطبري، 2001، ج5، ص577؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج2، ص532).
قال الزمخشري: {يُؤْتِي الْحِكْمَةَ}، أي: "يوفق للعلم والعمل به" (الزمخشري، 1987، ج1، ص316). وينظر: (ابن كثير، 1999؛ القرطبي، 2006؛ الشوكاني، 1994).

ثانياً: الحكمة في السنة.

عن عكرمة، أن ابن عباس رضي الله تعالى عنه قال: "حَدَّثَ النَّاسَ مَرَّةً فِي الْجُمُعَةِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَمَرَّتَيْنِ، وَإِنْ أَكْثَرْتَ فَثَلَاثًا، وَلَا تَمْلِكُ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلَا أَلْفَيْتَكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي الْحَدِيثِ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقْصُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ فُتَمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصَتُ، فَإِذَا أَمْرُكَ فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَسْتَهِنُونَ، وَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدَّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ؛ فَإِنِّي عَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ ذَلِكَ"؛ أخرجه البخاري (رقم: 6337) (العيني، د.ت.، ج22، ص299).

عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه قال: ما أنت بمُحَدِّثٍ قَوْمًا حَدِيثًا لَا تَبْلُغُهُ عَقُولُهُمْ - إِلَّا كَانَ لِبَعْضِهِمْ فِتْنَةٌ؛ أخرجه مسلم في مقدمة "صحيحه" (الهرري، 2009، ج1، ص163). وينظر: (البخاري، 2001؛ مسلم، د.ت.).

المبحث الرابع: مفهوم الحكمة في التعليم

يُعد موضوع الحكمة في التعليم المعاصر من الموضوعات التربوية الحديثة التي تجمع بين الفكر التربوي الإسلامي والنظريات التربوية المعاصرة، ويهدف إلى تجاوز مفهوم التعليم القائم على نقل المعرفة إلى تعليم يُنمي العقل، ويُهذّب السلوك، ويُحسن اتخاذ القرار، ويُعدّ المتعلم لمواجهة تحديات الحياة بوعي ومسؤولية (Sternberg, 2003؛ زيتون، ح. ح. د.ت.).

الحكمة في التعليم هي القدرة على توظيف المعرفة والمهارات والقيم والأخلاق في المواقف التعليمية بطريقة تحقق أفضل النتائج للمتعلمين والمجتمع. فلا تقتصر الحكمة على امتلاك المعلومات، وإنما تشمل حسن استخدامها، واختيار الأسلوب المناسب، والتوقيت المناسب، وتحقيق المصلحة التربوية (Schwartz & Sharpe, 2010).

ومن المنظور الإسلامي، ترتبط الحكمة بالعلم النافع والعمل الصالح، كما قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: 269]. «الآية. ابن عباس وقتادة، وأكثر المفسرين على أن المراد بالحكمة هاهنا: علم القرآن، والفهم فيه، والفقّه في الدين.

وقال السدي: هي النبوة، وقال مجاهد، في رواية ابن أبي نجيح هي الإصابة في القول والفعل (الطبري، 2001، ج3، ص89-91؛ ابن أبي حاتم، 1998، ج2، ص531-532).

وقال سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: 125].

«قل لهم يا محمد هذه الدعوة التي أدعو إليها، والطريقة التي أنا عليها سبيلي، قال ابن زيد : سُنِّي ومنهاجي.

وقال مقاتل : ديني، وسمى الدين سبيلاً لأنه الطريق الذي يؤدي إلى الثواب، ومثله قوله: { ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ } [النحل: 125] أي: إلى دينه قال أبو علي: معنى السبيل في اللغة المدرجة والممر، ثم أشيع فيه حتى استعمل في المعتقدات والآراء في الديانات وغيرها، كقوله تعالى: { وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعِصِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا } [الأعراف: 146] الآية.

وقوله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي } أي: معتقدي، وفسر السبيل بقوله: { ادْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا } قال ابن عباس: يريد على دين ويقين، والبصيرة: المعرفة التي يميز بها الحق من الباطل، ومضى الكلام في هذا عند قوله: { قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ } [الأنعام: 104].» (الواحيدي، 2009، ج 12، ص 262)

وهذا يدل على أن الحكمة ليست مجرد معرفة، بل هي منهج في التفكير والتعليم والتعامل مع الآخرين (Schwartz & Sharpe, 2010؛ Sternberg, 2003).

المبحث الخامس: أهمية الحكمة في التعليم المعاصر

تزايد أهمية الحكمة في ظل التطورات المتسارعة التي يشهدها العالم، ومن أبرز أسباب أهميتها:

مواجهة الانفجار المعرفي بطريقة واعية،

تنمية التفكير النقدي والإبداعي لدى المتعلمين.

ترسيخ القيم الأخلاقية والإنسانية،

إعداد الطلبة لاتخاذ القرارات الرشيدة.

تعزيز المسؤولية الاجتماعية، بناء شخصية متوازنة تجمع بين العلم والأخلاق

تحقيق جودة التعليم.

استدامة التنمية (Noddings, 2013؛ Brookfield, 2012؛ زيتون، ع. م.،

د.ت.).

المبحث السادس: أبعاد الحكمة في التعليم المعاصر

يمكن تقسيم الحكمة التربوية إلى عدة أبعاد رئيسية:

1- البعد المعرفي

ويتمثل في:

الفهم العميق للمعرفة، توظيف المعرفة في حل المشكلات.
تنمية التفكير التحليلي والاستدلالي، ويهدف هذا البعد إلى تجاوز الحفظ والتلقين نحو
الفهم والتطبيق والإبداع (Dewey, 1916؛ ابن القيم، د.ت.-ب؛ زيتون، ك. ع.،
د.ت.).

2- البعد الأخلاقي

ويشمل:

الصدق والأمانة العلمية. العدل والمساواة. احترام الآخرين.
المسؤولية. النزاهة. التسامح.
فالتعليم الحكيم لا يكتفي ببناء العقول، بل يبنى الضمائر أيضاً (Schwartz &
Sharpe, 2010؛ ابن القيم، د.ت.-أ؛ الغزالي، د.ت.-أ).

3- البعد الوجداني

يركز على:

تنمية الذكاء العاطفي، احترام المشاعر. التعاطف، إدارة الانفعالات،
تعزيز الدافعية نحو التعلم (Sternberg, 2005؛ قطامي، د.ت.).

4- البعد الاجتماعي

ويتضمن:

العمل الجماعي. الحوار. احترام التنوع الثقافي. المسؤولية المجتمعية.
المشاركة الإيجابية (Freire, 1970؛ Noddings, 2013).

5- البعد المهاري

ويهتم بتنمية: حل المشكلات. اتخاذ القرار. التفكير الناقد. الإبداع. مهارات التواصل. القيادة (Brookfield, 2012؛ جابر، د.ت.).

6- البعد الرقمي

أصبح من أهم أبعاد الحكمة في العصر الحديث، ويشمل: الاستخدام الأخلاقي للتقنية. التحقق من المعلومات. الأمن الرقمي. الذكاء الاصطناعي المسؤول. المواطنة الرقمية (زيتون، ع. م.، د.ت.).

المبحث السابع : خصائص التعليم القائم على الحكمة

من أبرز خصائصه:

يركز على بناء الإنسان قبل المعلومات. يوازن بين العقل والقيم. يعتمد على الحوار والتفكير. يراعي الفروق الفردية. يربط التعلم بالحياة الواقعية. يشجع التعلم الذاتي. يربط المعرفة بالعمل. ينمي الشخصية المتكاملة (ابن خلدون، د.ت.؛ مرعي والحيلة، د.ت.).

المبحث الثامن: استراتيجيات تطبيق الحكمة في التعليم

«من الحكمة عند اقتلاع عقيدة باطلة أو عادة فاسدة، أو نقد وضع معين، ألا يوجه العمل إلى ذلك بطريق مباشر، بل يتخذ له طريق لا يثير معارضة أو يوقد نار فتنة، فإن الموروثات وبخاصة منها المقدسات الدينية ليس من السهل تحويل الإنسان عنها، فكل إنسان معتز برأيه وعقيدته، وكل جماعة معتزة بمقدساتها ومعتدة بسلوكها، وذلك أمر طبيعي في الجنس البشري، لأن مظهر الحرية والكرامة والعناد، يظهر بوضوح عند توجيه النقد إلى العقيدة والسلوك، وقد تقدم نهي الله نبيه أن يسب الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم. وحسب الداعي الحكيم في مواجهة الباطل بعد دراسة

كل الظروف أن يحاول زحزحة الناس عن ثقتهم في عقيدتهم وسلوكهم وبطريق غير مباشر» (الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، د.ت.، ص 197)

يمكن للمعلم والمؤسسة التعليمية تطبيق الحكمة من خلال: التعلم القائم على حل المشكلات، التعلم بالمشروعات، الحوار والمناقشة. التعلم التعاوني، دراسة الحالات الواقعية، التأمل والتفكير الناقد، توظيف التقنية بصورة أخلاقية، ربط المناهج بالقيم الإسلامية والإنسانية. استخدام التقويم البنائي، تدريب المعلمين على مهارات الحكمة التربوية (الحيلة، د.ت.؛ Mezirow, 2000)

المبحث التاسع: معوقات تطبيق الحكمة في التعليم

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56)» [الذاريات / 56]، ولما كانت الحكمة في خلق الخلائق الاختبار المذكور، أراد جبريل أن يبين للناس طريق النجاح في ذلك الاختبار، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم: أخبرني عن الإحسان، أي وهو الذي خُلِقَ الخَلْقُ لأجل الاختبار فيه، فبين صلى الله عليه وسلم أن طريق الإحسان هي هذا الزاجر الأكبر، والواعظ الأعظم المذكور فقال: "هو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» (الشنقيطي، د.ت.، ص 12).

ومن أهمها:

الاعتماد على الحفظ والتلقين،

كثافة المناهج الدراسية، وضعف إعداد المعلمين،

التركيز على الاختبارات التقليدية،

الاستخدام غير الرشيد للتكنولوجيا.

ضعف البيئة المدرسية الداعمة للإبداع، وقلة البرامج التي تنمي التفكير الحكيم (زيتون، ك. ع.، د.ت.؛ Brookfield, 2012).

المبحث العاشر: دور المعلم في تعزيز الحكمة

يؤدي المعلم دوراً محورياً من خلال:

أن يكون قدوة أخلاقية، تشجيع التفكير المستقل، إدارة الحوار باحترام. تنمية مهارات اتخاذ القرار، تعزيز روح التعاون، غرس القيم الإسلامية، استخدام أساليب تدريس حديثة، مراعاة الفروق الفردية (ابن الجماعة، د.ت.؛ الزرنوجي، د.ت.؛ الغزالي، د.ت. - ب).

المبحث الحادي عشر: أثر الحكمة في تطوير المنظومة التربوية

يسهم التعليم القائم على الحكمة في: تحسين جودة التعليم. رفع مستوى التحصيل العلمي، تنمية الإبداع والابتكار. إعداد مواطن مسؤول، تعزيز التنمية المستدامة. بناء مجتمع المعرفة. تحقيق التوازن بين التقدم العلمي والقيم الأخلاقية. زيادة قدرة المؤسسات التعليمية على مواجهة تحديات العصر (Mezirow, 2000؛ Noddings, 2013).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد سعى هذا البحث إلى بيان أبعاد الحكمة في التعليم المعاصر، والكشف عن أهميتها في بناء منظومة تربوية متكاملة تستجيب لمتطلبات العصر، وتحقيق التوازن بين تنمية المعرفة، وترسيخ القيم، وبناء الشخصية الإنسانية القادرة على التفكير الرشيد، واتخاذ القرار السليم، والإسهام الإيجابي في تنمية المجتمع. وقد تبين أن الحكمة ليست مجرد امتلاك للمعرفة أو وفرة في المعلومات، وإنما هي حسن توظيفها في ضوء القيم الأخلاقية والمبادئ الإنسانية، بما يحقق المصلحة ويدرك المفسدة، ويجعل العملية التعليمية أكثر قدرة على إعداد الإنسان إعداداً متكاملًا.

كما أوضح البحث: أن التعليم المعاصر يواجه تحديات متسارعة فرضتها الثورة الرقمية، والذكاء الاصطناعي، والانفتاح المعرفي، والتغيرات الاجتماعية والثقافية، مما يجعل الحاجة إلى الحكمة التربوية أكثر إلحاحاً من أي وقت مضى. فالمتعلم لم يعد بحاجة إلى تلقي المعلومات فحسب، بل أصبح في حاجة إلى مهارات التفكير الناقد، والإبداع، وحل المشكلات، وإدارة المعرفة، والقدرة على التمييز بين المعلومات الصحيحة والمغلوطه، مع الالتزام بالقيم والأخلاق في جميع ممارساته العلمية والعملية.

وقد أبرزت الدراسة أن الحكمة التعليمية تقوم على مجموعة من الأبعاد المتكاملة، وفي مقدمتها البعد المعرفي الذي يعنى ببناء العقل وتنمية التفكير، والبعد الأخلاقي الذي يرسخ القيم والمبادئ، والبعد الوجداني الذي ينمي الاتزان النفسي والذكاء العاطفي، والبعد الاجتماعي الذي يعزز التعاون والمسؤولية المجتمعية، والبعد العملي الذي يربط المعرفة بالتطبيق، إضافة إلى البعد المستقبلي الذي يهيئ المتعلم للتعامل مع التحولات المتسارعة واستشراف المستقبل.

وتوصل البحث إلى أن تطوير المنظومة التربوية لا يمكن أن يتحقق بمجرد تحديث المناهج أو إدخال التقنيات الحديثة، بل يتطلب بناء فلسفة تعليمية قائمة على الحكمة، يكون فيها الإنسان محور العملية التعليمية، ويصبح المعلم قائداً تربوياً وموجهاً للحكمة، وتتحول المدرسة إلى بيئة تعلم تنمي التفكير والإبداع والقيم، وتسهم في إعداد أجيال تمتلك الكفاءة العلمية والنضج الأخلاقي والمسؤولية المجتمعية.

كما أظهرت الدراسة أهمية اعتماد استراتيجيات تدريس حديثة تعزز التعلم النشط، والتعلم القائم على المشروعات، وحل المشكلات، والتفكير التأملي، والتعلم التعاوني، والاستفادة الرشيدة من التقنيات الرقمية والذكاء الاصطناعي، بما يحقق التكامل بين المعرفة والمهارة والقيمة، ويجعل المتعلم شريكاً فاعلاً في بناء خبراته التعليمية.

ومن أبرز ما خلص إليه البحث أن الحكمة تمثل الغاية العليا للعملية التربوية، لأنها تجمع بين العلم والعمل، وبين العقل والقيم، وبين الفرد والمجتمع، وتسهم في إعداد مواطن صالح قادر على الإبداع والإنتاج والتعايش، ومواجهة التحديات بروح المسؤولية والاعتدال. كما أن المؤسسات التعليمية التي تبني فلسفة الحكمة تكون أكثر قدرة على تحقيق الجودة والتميز والاستدامة، وتخرج كوادر قادرة على قيادة التنمية الشاملة.

وفي ضوء ما سبق، فإن الباحث يؤكد أن الاستثمار الحقيقي في التعليم لا يكون في الأبنية أو الوسائل وحدها، وإنما في بناء الإنسان الحكيم، القادر على توظيف العلم لخدمة نفسه وأسرته ومجتمعه ووطنه والإنسانية جمعاء. فالحكمة هي التي تمنح المعرفة معناها، وتجعل التعليم وسيلة لبناء الحضارة، وتحقيق التنمية المستدامة، وتعزيز الأمن الفكري، وترسيخ قيم السلام والتسامح والعدل.

ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به الباحثين والمعلمين وصناع القرار، وأن يسهم في تطوير المنظومة التربوية بما يحقق الخير للأمة والإنسانية، إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

أولاً: المراجع العربية

ابن أبي حاتم، ع. ر. (1998). تفسير القرآن العظيم (أ. الطيب، تحقيق). مكتبة نزار مصطفى الباز.

ابن الجماعة، ب. د. (د.ت.). تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم (م. م. العجمي، تحقيق). دار البشائر الإسلامية.

ابن تيمية، أ. ب. ع. (د.ت.). مجموع الفتاوى (ع. ر. بن محمد بن قاسم، جمع وترتيب). مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

ابن خلدون، ع. ب. م. (د.ت.). المقدمة. دار الفكر.

ابن سيده، ع. ب. إ. (2000). المحكم والمحيط الأعظم (ع. هنداوي، تحقيق). دار الكتب العلمية.
ابن عطية، ع. ح. ب. غ. (2001). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (ع. س. عبد الشافي محمد، تحقيق). دار الكتب العلمية.

ابن فارس، أ. ب. ز. (1979). معجم مقاييس اللغة (ع. س. هارون، تحقيق). دار الفكر.
ابن القيم، م. ب. أ. ب. (د.ت.-أ). مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (م. المعتصم بالله البغدادي، تحقيق). دار الكتاب العربي.

ابن القيم، م. ب. أ. ب. (د.ت.-ب). مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (ع. ر. بن حسن بن قائد، تحقيق). دار عالم الفوائد.

ابن كثير، إ. ب. ع. (1999). تفسير القرآن العظيم (س. م. السلامة، تحقيق). دار طيبة.
ابن منظور، م. ب. م. (1994). لسان العرب (ط3). دار صادر.
الأصفهاني، ح. ب. م. الراغب. (د.ت.). المفردات في غريب القرآن (ص. ع. داوودي، تحقيق). دار القلم.

البخاري، م. ب. إ. (2001). الجامع المسند الصحيح المختصر (صحيح البخاري) (م. ز. الناصر، تحقيق). دار طوق النجاة.

التهانوي، م. ع. (1996). كشف اصطلاحات الفنون والعلوم (ع. خالدي، تحقيق). مكتبة لبنان ناشرون.

جابر، ع. أ. ج. (د.ت.). استراتيجيات التدريس والتعلم. دار الفكر العربي.
الجوهرى، إ. ب. ح. (1987). الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية (أ. ع. عطار، تحقيق؛ ط4). دار العلم للملايين.

الحيلة، م. م. (د.ت.). تصميم التعليم: نظرية وممارسة. دار المسيرة.
الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه. (د.ت.). [يرجى استكمال بيانات المؤلف والناشر].
الزبيدي، م. ب. م. (د.ت.). تاج العروس من جواهر القاموس. دار الهداية.
الزرنوجي، ب. أ. (د.ت.). تعليم المتعلم طريق التعلم (م. قباني، تحقيق). المكتب الإسلامي.
الزخشري، م. ب. ع. (1987). الكشف عن حقائق غوامض التنزيل (ط3). دار الكتاب العربي.
زيتون، ح. ح. (د.ت.). التعليم: رؤية معاصرة. عالم الكتب.

- زيتون، ع. م. (د.ت.). الاتجاهات العالمية المعاصرة في المناهج وطرائق التدريس. دار الشروق.
- زيتون، ك. ع. (د.ت.). التدريس: نماذجه ومهاراته. عالم الكتب.
- السيوطي، ع. ر. ب. أ. (د.ت.). الدر المنثور في التفسير بالمأثور. دار الفكر.
- الشنقيطي، م. أ. (د.ت.). محاضرات الشنقيطي. [يرجى استكمال بيانات الناشر].
- الشوكاني، م. ب. ع. (1994). فتح القدير. دار ابن كثير.
- الصابوني، م. ع. (1997). صفوة التفاسير. دار الصابوني.
- الطبري، م. ب. ج. (2001). جامع البيان عن تأويل آي القرآن (ع. التركي، تحقيق). دار هجر.
- العيني، م. ب. أ. (د.ت.). عمدة القاري شرح صحيح البخاري. دار إحياء التراث العربي.
- الغزالي، أ. ح. (د.ت.-أ). إحياء علوم الدين. دار المعرفة.
- الغزالي، أ. ح. (د.ت.-ب). أيها الولد. دار المنهاج.
- الفيومي، أ. ب. م. (د.ت.). المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية.
- القرطبي، م. ب. أ. (2006). الجامع لأحكام القرآن (ع. ا. التركي، تحقيق). مؤسسة الرسالة.
- قطامي، ي. (د.ت.). سيكولوجية التعلم والتعليم الصفي. دار المسيرة.
- الكفاية في التفسير بالمأثور والدراية. (بدون بيانات).
- مرعي، ت. أ.، والحيلة، م. م. (د.ت.). طرائق التدريس العامة. دار المسيرة.
- مسلم، م. ب. الحجاج. (د.ت.). المسند الصحيح المختصر (صحيح مسلم) (م. ف. عبد الباقي، تحقيق). دار إحياء التراث العربي.
- الهرري، م. أ. (2009). الكوكب الوهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. دار المنهاج.
- الواحدي، ع. ب. أ. (2009). التفسير البسيط. عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ثانياً: المراجع الأجنبية

Brookfield, S. D. (2012). *Teaching for critical thinking: Tools and techniques to help students question their assumptions*. Jossey-Bass.

- Dewey, J. (1916). *Democracy and education: An introduction to the philosophy of education*. Macmillan.
- Freire, P. (1970). *Pedagogy of the oppressed*. Continuum.
- Mezirow, J. (2000). *Learning as transformation: Critical perspectives on a theory in progress*. Jossey-Bass.
- Noddings, N. (2013). *Education and democracy in the 21st century*. Teachers College Press.
- Schwartz, B., & Sharpe, K. E. (2010). *Practical wisdom: The right way to do the right thing*. Riverhead Books.
- Sternberg, R. J. (2003). *Wisdom, intelligence, and creativity synthesized*. Cambridge University Press.
- Sternberg, R. J. (Ed.). (2005). *A handbook of wisdom: Psychological perspectives*. Cambridge University Press.

